خامساً: أصل الإنسان

أصل الإنسان لا شك أمر غيبي لا سبيل إلى القطع في علمه ومعرفته إلا عن طريق الوحي ولم يبق من الوحي المجزوم بصحته إلا القرآن الكريم وإلا ما صح عنه ﷺ ، وقد ورد في القرآن الكريم آيات بينات في ذلك فإليها المرجع .

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ، وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[1].

وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ

---

(١) سورة الحجر الآيات : ٢٦ ـ ٣١ .

أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ، ثُمَّ إِنَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّيِتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1] .

وقال سبحانه ﴿ اَلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَة مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيْهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾[2] .

وقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[3] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾[4] .

وكثيرة هي الآيات الدالة على خلق آدم أبي البشر من تراب ثم تناسل ذريته من بعد من ماء مهين . بل لا زال ذلكم النسل يخلقه الله من تراب !! أنظر إن شئت إلى طعام الإنسان تجده لا يعدو بحال من الأحوال أن يكون حيوانياً أو نباتياً ثم انظر إلى طعام ذلكم الحيوان الذي يأكله الإنسان تجده إما نباتا وإما حيواناً آخر يعيش على النبات .

فمصدر الأطعمة إذن التي يأكلها الإنسان والحيوان لا تعدو النبات ، ثم انظر إلى ما يعيش عليه ذلكم النبات ، ومن أي شيء يخرج إنه لا ينبت إلا على التربة .

---

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ ـ ١٦ .
(٢) سورة السجده الآيتين : ٧ و ٨ .
(٣) سورة النساء : من الآية الأولى .
(٤) سورة آل عمران الآية : ٥٩ .

أرأيتم كيف يعيش الإنسان ، لقد خلقه الله من تراب ، وعاش على التراب ويعود إلى التراب .

خلق الله آدم عليه السلام أبا البشر من تراب خلقاً متكاملاً يؤهله لأن يكون خليفة في الأرض بإذن الله ، وألقى في ذهنه من العلم ما خفي على الملائكة عليهم السلام لتكون له بهذا مزية عليهم ليسجدوا له بإذن الله وأمره ثم ليسكنه بعد هذا في الجنة هو وزوجه لتقع منهما المعصية فينزلهما الله إلى الأرض ، أرض الإبتلاء والإمتحان ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيَها خَالِدُونَ ﴾[1] .

ولم تزل البشرية كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ذلكم المعتقد في خلق الإنسان هو الذي اعتقده السلف وقامت أركانه على قواعد القرآن الكريم وآياته .

إلى أن ظهرت على مسرح النظريات العلمية نظرية حسبها أربابها نظرية علمية وحسبها آخرون حقيقة علمية !! فذهبوا في الإستدلال لها كل مذهب ، وحاربوا الدين وأهله الذين أنكروا عليهم ، وزعموا أنها الحق الذي لا يقبل المراء واليقين الذي لا يحتمل الشك .

قالوا أن الأرض كانت قطعة من الشمس كان ذلك قبل أكثر من ٥٠٠٠ مليون سنة ثم انفصلت عنها فكانت كرة نارية ملتهبة تدور في الفضاء ويغلفها غازات ساخنة ولم تكن في هذه الحالة صالحة لأي نوع من الحياة ثم أخذت هذه الكرة تبرد تدريجياً وتنصهر بعد انفصالها على هيئة غاز ، ونتج عن هذا تجمد سطحها الخارجي ، وما لبث أن أخذ يزداد في السمك فتكونت التضاريس المعروفة وفي أثناء ذلك أخذت

---

(١) سورة البقرة من الآيتين : ٣٨ : ٣٩ .

الغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من الأرض في الهطول مرة ثانية وذلك في صورة بخار ماء أو أمطار غزيرة . . . كما انفجر من باطن الأرض ينابيع عظيمة من المياه كونت البحار والمحيطات الأولى . .[1] .

ثم بدأت الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات على هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم حية قليلة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير عوامل طبيعية ، حتى وصلت إلى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الإنسان[2] .

ظهرت هذه النظرية سنة ١٨٥٩م حاملة اسم مؤسسها شارل داروين وعرفت بـ « الدارونية » وتقوم تلك النظرية على أربعة نواميس لتعليل وجود الأنواع الحية على سطح الأرض سواء أكانت نباتية أم حيوانية ، من أول الأحياء الجرثومية ذات الخلية الواحدة إلى الإنسان نفسه .

أولها : ـ ناموس الصراع من أجل البقاء .

ويريد بذلك أن بين الأحياء من نوع واحد أو أنواع متعددة ـ تنازع مستمر على وسائل الحياة من أجل البقاء يهلك فيه الضعفاء ويبقى الأقوياء .

ثانيها : ـ ناموس الإنتخاب الطبيعي .

وهذا الناموس هو ما يؤدي إليه الناموس الأول ذلكم أن (الطبيعة) تعمل على استصفاء وانتخاب الأقوى من كل نوع كأنها تنتخب من كائناتها ما كان أصبر على الكفاح وأجمع لوسائل البقاء فتبقيه وتفني الأضعف وتبيده .

---

(١) نظرية التطور بين العلم والدين : علي احمد الشحات ص : ١٠١ .

(٢) شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان : عبد الله علوان ص ٨٠

ثالثها : ـ ناموس المطابقة : ـ

ويراد بهذا أن للبيئة وانقلاباتها ولنوع الأغذية وطرق الوصول إليها وإهمال العضو أو استعماله دخل كبير في إيجاد الإختلاف بين أنواع الأحياء ذلكم أن استعمال عضو من الأعضاء أو الحاجة إليه يكون سبباً في وجوده وكذا إهمال عضو من الأعضاء بعدم استعماله يكون سبباً لانعدامه في أحفاد ذلك الحيوان .

فلم ينبت للضواري مخالب إلا حينما اضطرت للتغذي بلحم الحيوانات الحية واعتادت دس أصابعها في أجساد فرائسها لتمنعها من الإفلات ، والضرورة قضت أن تطول عنق الزرافة إلى هذا الحد لأنها اضطرت إلى تناول أغذيتها من أوراق الشجر العالية (!!).

رابعها : ناموس الوارثة :

ويراد به أن تلك الأعضاء الجديدة التي يكتسبها الأفراد تحت تأثير الصراع في الحياة يرثها كل جيل من سلفه فتبقى ثابتة فيه مع قبولها للإرتقاء ومع مرّ الزمن يقوى هذا الإختلاف حتى تصبح تلك الطائفة مباينة لجميعها فتعتبر نوعاً مستقلاً عنها وعلى هذا النحو تكثرت تلك الأنواع وباين بعضها بعضاً حتى صعب على من يراها أن يحسبها كلها متولدة من نوع واحد لكثرة أوجه الخلاف بينها وبين أصولها في الشكل والحجم والغرائز .

فمن الذي يستطيع أن يتخيل أن الإنسان والقرد والبرغوث والفيل والثعبان والطيور والسلاحف والميكروبات كلها نشأت خلية أو خلايا معدودة وإنما نوعها وعدد أشكالها تلك النواميس الأربعة .

تلكم خلاصة نظرية داروين في أصل الموجودات كلها والإنسان

نوع منها . ويجب أن نقرن مع ذكرها عدم اعتبار صاحبها لها أنها حقيقة علمية وإنما اعتبرها دوائر واسعة تحتمل هذا وتحتمل سواه حيث يقول : ـ « اسمح لي أن أضيف إلى هذا بأني لست من قلة العقل بحيث أتصور بأن نجاحي يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع »[1].

وفي نفس العام الذي توفي فيه داروين كان السيد جمال الدين الأفغاني في حيدر آباد في الهند يخط رسالته في الرد على الدهريين وأبطل في تلك الرسالة مذهب داروين فكتب يقول تحت عنوان « قول داروين أن الإنسان كان قرداً»وعلى زعم «داروين»هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلاً بمرور القرون وكر الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثاً كذلك . فإن سئل داروين عن الأشجار القائمة على غاباتٌ الهند والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ إلا ظناً وأصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته وشكل أوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأي فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ أظن لا سبيل إلى الجواب سوى العجز عنه . .

وإن قيل له : هذه أسماك بحيرة أورال وبحر كسين مع تشاركها في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافاً نوعياً وتبايناً بعيداً في الألوان والأشكال والأعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت ؟ لا أراه يلجأ في الجواب إلا إلى الحصر »[2].

ثم قال بعد هذا « وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهل الأوهام ومهامه الخرافات إلا قرب المشابهة بين القرد والإنسان وكأن ما أخذ به من

---

(١) على أطلال المذهب المادي : محمد فريد وجدي ص ١٠٢ .

(٢) الحصر : العي والعجز عن الإجابة .

الشبه الواهية ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة ، وحسرات العماية وإنا نورد شيئاً مما تمسك به . . . ومن واهياته ما كان يرويه « داروين» من أن جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قروناً صارت الكلاب تولد بلا أذناب كأنه يقول : حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . . وهل صُمّت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفاً من السنين ولا يولد مولود حتى يختن[1] وإلى الآن لم يولد واحداً منهم مختوناً إلا لإعجاز »[2].

ويذكر الشيخ محمود شلتوت بعض الآيات من القرآن الكريم ثم يقول بعدها « فهذا ونحوه خبر الله الصادق الذي قامت على صدقه المعجزات ، يحدث بأن الإنسان خلق نوعاً مستقلاً ليس متطوراً عن نوع آخر من أنواع الحيوانات أياً كان ذلك النوع وكيفما كان التشابه بينه وبين الإنسان في بعض الخصائص ، وبعض الأوضاع الجسمية ، فلو كان خلق الإنسان بطريق الإرتقاء عن نوع آخر لكان الحديث الذي ساقه القرآن عن خلقه حديثاً لا يطابق الحقيقة ولا يتفق والواقع ، وهو حديث صريح لا يحتمل غير مدلوله المفهوم من عباراته وألفاظه . . والمسألة بعد مسألة غيبية لا يتناولها الحس ، ولا محل فيها للتجربة ، وليس ثمة مقدمات عقلية يصل بها العقل إلى معرفة واقعها »[3].

وممن ردّ على تلك النظرية أيضاً من اتباع المدرسة العقلية الأستاذ محمد فريد وجدي فبدأ أول ما بدأ ببيان أصل المذهب ونفى عنه ما قد يفهم منه مما ليس من أصله حيث يقول « هذا المذهب مؤداه أن أصل

---

(١) ويضاف إلى هذا أيضا بقية السنن الإسلامية الأخرى كتقليم الأظافر وحلق العانه ونتف الإبط ونحوها فإن تلكم سنة اسلامية منذ ١٤ قرنا ولم يوجد بعد هذا وأثناءه إنسان لم تنبت أظفاره أو شعر في تلك الأماكن .

(٢) رسالة الرد على الدهريين : جمال الدين الأفغاني ص ٤٢ ـ ٤٥ .

(٣) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٤٠٣ .

الأنواع النباتية والحيوانية التي تغص بها هذه الأرض جرثومة واحدة أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل مختلفة طبيعية محصنة حتى وصلت إلى ما تراه من التنوعات التي على رأسها الإنسان . فهو لا يقول أن أصل الإنسان القرد الموجود الآن ولكن حيوان بين القرد والإنسان لم يعثر على هيكله في الأحافير للآن ، أما القرد فإن داروين يعتبره نهاية ترق لفرع من أفرع الشجرة الحيوانية »(١) ويقول « من العجب أن مذهباً كمذهب لامارك أو داروين يكون فيه من وجوه النقص ما يجعل صاحبه نفسه يزري به ، ينتشر هذا الإنتشار الكبير ويجد له أنصاراً متحمسين من درجة متحمسي الأديان في العصور البعيدة »(٢).

ثم ينقل الأستاذ وجدي نقولاً عديدة لعلماء غربيين في الرد على تلك النظرية فمن ذلك رأي فون باير في كتابه المسمى المذهب الداروني « إن الرأي القائل أن النوع الإنساني متولد من القردة السيميانية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الإنسان وجدير بأن ينقل إلى أخلاقنا جميع الحماقات الإنسانية مطبوعة بطابع جديد يستحيل أن يقوم دليل على هذا الرأي المضحك من جهة المكتشفات الحفرية » وقال في ختام كتابه المسمى خطابات ومباحث علمية « أنا لا أتمالك نفسي من التصريح لرجال العلم بأن فرضاً من الفروض لا تكون له قيمة ولا سبيل في البقاء إلا إذا عاملناه معاملتنا لسائر الفروض . أي نجعله كنقطة يتوجه منها إلى مباحث خاصة ، ولكن من الشؤم والإنحطاط أن نعتبر فرضاً من الفروض آخر كلمة للعلم وهو مجرد كل التجرد عن الوسائل التي يثبت بها نفسه ، إن علمنا مؤلف من قطع وأجزاء فتكميل هذه القطع بواسطة الإفتراضات يمكن أن يؤدي إلى ارتياح شخصي ولكن لا يكون هذا من

---

(١) على أطلال المذهب المادي : محمد فريد وجدي جـ ١ ص ٨٨ .

(٢) على أطلال المذهب المادي : محمد فريد وجدي جـ ١ ص ١٠٢ .

العلم شيء »[1] .

ثم أورد الأستاذ وجدي على هذه النظرية عدداً من الإعتراضات وقسمها إلى قسمين : ـ إعتراضات قديمة وإعتراضات جديدة ليس بإمكاننا ذكرها هنا .

وندرك من هذا موقف الأستاذ وجدي من تلك النظرية ، ولا تحسبن أنه حينما ينكر على داروين نظريته هذه أنه يريد إقرار ما جاء به القرآن الكريم من خلق آدم عليه السلام خلقاً مستقلاً من طور العدم إلى طور الإنسانية الكاملة . . لا ؟! لا يقصد الاستاذ وجدي هذا بل يصف من يقول بهذا القول بالشذوذ وينكر أن يكون هناك عالم « يعتد به » يقول بهذا وحتى لا نجني على الرجل نسوق نصوصه : ـ

« ونحن لا نريد من قولنا أن أهل العلم تبينوا وهن أصول مذهب داروين أنهم اصبحوا يقولون بالخلق المستقل فهذا ما لا يقول به إلا الشاذ من أهل العلم اليوم ولكنهم أصبحوا يرون لتسلسل الأحياء بعضها من بعض نواميس أخرى غير نواميس دارون »[2] ويقول « مع عدم وجود عالم يعتد به يقول بالخلق المستقل الآن فإن جمهور الباحثين اليوم أدركوا أن كل النظريات التي افترضت في تفسير تسلسل الكائنات الحية بعضها من بعض لا تمثل الحقيقة ولا تروج إلا في أذهان الذين يقتنعون بالألفاظ الضخمة ، وهذا التوقف من أهل العلم اليوم أثر من آثار تخلص العقل من سلطان الخداع العلمي السابق وهو الخداع الذي أوهمه بأنه أدرك سر الوجود ووقف على جميع مساتيره بفضل الفلسفة المادية والعلم الطبيعي »[3] .

---

(١) على أطلال المذهب المادي : محمد فريد وجدي جـ ١ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٠ .

(٣) على أطلال المذهب المادي : محمد فريد وجدي جـ ١ ص ٩٢ .

إذن فالأستاذ وجدي لا يخالف دارون من حيث المبدأ وإنما المخالفة بكونه يرى لتسلسل الأحياء بضعها من بعض نواميس أخرى غير نواميس دارون كما أصبح يراه أهل العلم ؟ !

ونحن لا تهمنا هذه النواميس التي يفضلها الأستاذ وجدي على نواميس دارون وإنما الذي يهمنا في الأمر أنه ينكر أن يكون الإنسان خلق خلقاً مستقلاً ويصف من يعتقد هذا بالشذوذ وبأنه « لا يعتد به » وهذه مخالفة صريحة لنصوص القرآن الكريم .

ولا تسيئن الظن برجال هذه المدرسة ؟ ! فتعتقد أن هذا هو الفارس الوحيد في ميدان الشذوذ ، فقد سبقه وزاد عليه الفارس الذي لا يشق له غبار في هذا المجال أعني الشيخ محمد عبده ومن خلفه تلاميذه السيد رشيد وأحمد المراغي وغيرهم .

ذلكم أن الشيخ محمد عبده لم يرفض هذه النظرية كما أنه لم يصرح بقبولها ، ولكنه فسر الآيات القرآنية بما يفسح المجال لمن يريد أن يقول بها وأنكر معارضة القرآن لذلك ؟ !

ليس هذا تجنياً منا على الشيخ عبده بل هو مع حسن الظن أيضاً ، حينما نعلم أن الشيخ وتلميذه رشيد يساوون بين الإعتقاد بأن أبا البشر آدم عليه السلام والإعتقاد بأنه القرد أو غير ذلك ما دامت الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر ؟ !

وحتى ندع القارىء يسبقنا إلى الحكم عليهم نكتفي هنا بإيراد نصوص لهم . فقد قال الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[1] « ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر فمن المفسرين من يقول أن كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة أو قريش فإذا صح هنا جاز أن يفهم منه بنو قريش أن النفس الواحدة هي قريش أو عدنان ، وإذا كان الخطاب للعرب عامة جاز أن يفهموا منه أن المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان ، وإذا قلنا أن الخطاب لجميع أهل الدعوة إلى الإسلام أي لجميع الأمم فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما تعتقده ، فالذين يعتقدون أن جميع البشر من سلالة آدم يفهمون أن المراد بالنفس الواحدة آدم ، والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أباً يحملون النفس على ما يعتقدون . . . والقرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه أن يقول وبث منهما جميع الرجال والنساء ، وكيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا العهد ليس معروفاً عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما ، وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلاً هو مأخوذ عن العبرانيين فإنهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخاً متصلاً بآدم وحددوا له زمناً قريباً . وأهل الصين ينسبون البشر إلى أب آخر ويذهبون بتاريخه إلى زمن أبعد من الزمن الذي ذهب إليه العبرانيون ، والعلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وإن عزوه إلى موسى عليه السلام فإنه لا ثقة عندنا بأنه من التوراة وإنه بقي كما جاء به موسى »[2].

وبهذا أكد الشيخ أن آدم ليس أبو البشر كلهم وإنما قلت أكد لأنه : ـ

---

(١) سورة النساء : من الآية الأولى .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

١ ـ استدل بأن الآية لا تدل (بالنص ولا بالظاهر) على ذلك .

٢ ـ وأنه لو كان آدم أبا البشر كلهم لما قال ﴿رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ بل قال جميع الرجال و النساء .

٣ ـ وإن من الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما .

٤ ـ إن العلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين باعتقادهم أن آدم أبو البشر .

وبهذا أضاء الشيخ عبده النور الأخضر لمن يريد أن يقول بنظرية داروين بأن يجعل تطبيقها على آباء البشر الآخرين عدا آدم عليه السلام .

فإن ذهبت تعترض على هذا وتقول : ـ ورد في القرآن الكريم الخطاب ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾[1] وورد في قوله ﷺ « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب »[2] وما رواه أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وأن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى »[3] .

إذا ما قلت هذا سهل عليه تأويل ذلك وكيف لا يسهل هذا على من يرد أحاديث البخاري ومسلم ويرد الأحاديث المتواترة كما مر بنا ، يقول الشيخ عبده في تأويل ذلك « وما ورد في آيات أخرى من مخاطبة الناس بقوله « يا بني آدم » لا ينافي هذا ولا يعد نصاً قاطعاً في كون جميع البشر من أبنائه إذ يكفي في صحة الخطاب أن يكون من وجه إليهم في زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم في تفسير قصة آدم في أوائل سورة البقرة أنه كان في الارض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وأقول زيادة في الإيضاح إذا كان

---

(١) انظر مثلاً الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢ من سورة آل عمران و٧٠ من الإسراء و٦٠ من يس .

(٢) رواه البزار عن حذيفة بن اليمان .

(٣) رواه أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٤١١ .

جماهير المفسرين فسروا النفس الواحدة هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم (!!) وهي أن آدم أبو البشر »[1] .

ويؤيد هذا الكلام تلميذه السيد رشيد بنوع من الأخبار لو لم يكن فيها تأييد لما ذهب إليه لاعتبرها من الإسرائيليات التي أدخلها كعب الأحبار ووهب ابن منبه وأمثالهما ولشنّ عليهما هجوماً لا ينقطع ونعى على الإسلام أمثالهما ولكن والحال أن هذه الأخبار في مقام تأييده فلا بأس من الإستدلال بها والدفاع عن المعتقدين لها قال « وقد نقل عن الإمامية والصوفية أنه كان قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون قال في روح المعاني : ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية في الفصل الخامس عشر خبراً طويلاً نقل فيه أن الله تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنة وأن الدنيا بقيت خراباً بعدهم خمسين ألف سنة ثم عمرت خمسين ألف سنة ثم خلق أبونا آدم عليه السلام ، وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضاً أنه قال لعلك ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم بل والله. لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين » ثم قال « ثم نقل عن زين العرب القول بكفر من يقول بتعدد آدم وهذا من جرأته وجرأة أمثاله الذين يتهجمون على تكفير المسلمين لأوهى الشبهات »[2] .

ثم يجمل لنا السيد رشيد رأي أستاذه « للأستاذ الإمام في هذا المقام رأيان : -

(أحدهما) أن ظاهر هذه الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم أي سواء كان هو الأب لجميع البشر أم لا ، لما ذكره من معارضة المباحث العلمية والتاريخية له ومن تنكير ما بثه منها ومن زوجها ، على أنه يمكن الجواب عن هذا الأخير بأن التنكير لمن ولد منهما مباشرة كأنه يقول

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

بث منهما كثيراً من الرجال والنساء وبث من هؤلاء سائر الناس وعن الأول بأنه لا يزال غير قطعي .

(وثانيهما) أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم والمراد بالبشر هنا هذا الحيوان الناطق البادي البشرة المنتصب القامة الذي يطلق عليه لفظ الإنسان ، وعلى هذا الرأي لا يرد على القرآن ما يقوله بعض الباحثين ومن اقتنع بقولهم من أن للبشر عدة آباء ترجع إليهم سلائل كل صنف .

ثم إن ما ذهب إليه الأستاذ الإمام يرد الشبهات التي ترد في هذا المقام ولكنه لا يمنع المعتقدين أن آدم هو أبو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لأنه لا يقول أن القرآن ينفي هذا الإعتقاد وإنما يقول أنه لا يثبته إثباتاً قطعياً لا يحتمل التأويل وقد صرحنا بهذا لأن بعض الناس كان فهم من درسه أنه يقول أن القرآن ينفي هذا الإعتقاد أي اعتقاد أن آدم أبو البشر كلهم وهو لم يقل هذا تصريحاً ولا تلويحاً وإنما بين أن ثبوت ما يقوله الباحثون في العلوم وآثار البشر وعادياتهم والحيوانات من أن للبشر عدة أصول ومن كون آدم ليس أباً لهم كلهم في جميع الارض قديماً وحديثاً كَل هذا لا ينافي القرآن ولا يناقضه ويمكن لمن ثبت عنده أن يكون مسلماً مؤمناً بالقرآن »[1] .

ثم يقول السيد رشيد « وليت شعري ماذا يقول الذين يذهبون إلى أن المسألة قطعية بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة أصول ؟ هل يقولون إذا أراد أن يكون مسلماً وتعذر عليه ترك يقينه في المسألة أنه لا يصح إيمانه ولا يقبل إسلامه وإن أيقن بأن القرآن كلام الله وأنه لا نص فيه يعارض يقينه »[2] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٦ .

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ٣٢٧ .

ويقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي : ـ وجمهرة العلماء على أن المراد بالنفس الواحدة هنا آدم وهم لم يأخذوا هذا من نص الآية بل أخذوه تسليماً وهو أن آدم أبو البشر » [1] وقال : ـ « وقال بعض العلماء أبهم الله تعالى أمر النفس التي خلق الناس منها ، فلندعها على إبهامها ، فإذا ثبت ما يقوله الباحثون من أن لكل صنف من أصناف البشر أبا كان ذلك غير مخالف لكتابنا ، كما هو مخالف للتوراة التي نصت صراحة على أن آدم أبو البشر فحمل ذلك بعض الناس على الطعن في كونها من عند الله ووحيه »[1] .

وكان الأولى بالشيخ المراغي أن يدعو إلى إنكار هذه الفكرة والرد عليها وبيان مخالفتها لنصوص القرآن حتى إذا ما ثبت للناس بعد هذا بطلان هذه النظرية وقف المسلم شامخاً معتزاً بدينه وكأنه يقول أرأيتم الدين الحق يقول كلمته مخالفاً نظرية في وقت دولتها وعصر سطوتها حتى حسبها بعض الناس حقيقة علمية ولكن الإسلام يقول كلمته ولا يقف بعض بنانه حائراً بين تأييدها أو إنكارها جاهلاً الحق فيها أو يقف حائراً بين هذه النظرية وحقيقة دينه الناصعة فيها ، بل يقول حقائق دينه ولو خالفت ما توهمه المتوهمون وزعمه الزاعمون .

ويفسر الشيخ رشيد رضا المراد بالنفس بقوله « هذا وأن المتبادر من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات ـ أنها هي الماهية أو الحقيقة التي كان بها الإنسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات أي خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة ولا فرق في هذا بين أن تكون هذه الحقيقة بدئت بآدم كما دل عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين ، أو بدئت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعة والصوفية ، أو بدئت بعدة أصول انبث منها عدة اصناف كما عليه بعض الباحثين ـ ولا بين أن تكون هذه الأصول أو الأصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات أو خلق مستقلاً على ما عليه الخلاف

---

(١) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ٤ ص ١٧٥ .

بين الناس في هذا العصر »[1] ثم قال « على كل حال وكل قول يصح أن جميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناساً وهي التي يتفق الذين يدعون إلى خير الناس وبرهم ودفع الأذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم فتراهم على اختلافهم في أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف أنهم إخوتنا في الإنسانية فيعدون الإنسانية مناط الوحدة وداعية الإلفة والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا أن أباهم آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك »[1] .

لا نريد الرد عليه هنا بإثبات ان مناط الوحدة والألفة في الإسلام هو الدين لا الإنسانية ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2] الآية ، ولا نريد أيضاً أن نرد على ما قاله فيما نقلناه من نصوص إذ يكفي في هذا ما ذكرناه من آيات كريمات في بيان أصل خلق الإنسان من لدن آدم عليه السلام .

وبهذا ـ كما قلنا آنفاً ـ أعطى الشيخ محمد عبده والسيد رشيد الضوء الأخضر لمن يريد أن يدخل نظرية داروين وغيرها في أذهان المسلمين وبينا أن القرآن الكريم لا يعارض هذا ولا يخالفه بل ولم يكتفيا بهذا فأرادا أن لا يحرما نفسيهما من المشاركة في إدخال هذه النظرية فأثبتا نظرية التطور البشري وأنه نشأ أول ما نشأ ساذجاً سذاجة لا يبلغ بها تناول الشؤون الرفيعة والمعاني العالية والمعارف السامية لا هم له إلا المحافظة على بنيته الجسمية وحاجته البدنية ولندع الحديث للشيخ عبده حيث يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[3] . الآية قال : ـ « ما جاءنا من

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٧ .

(٢) سورة المجادلة : من الآية ٢٢ .

(٣) سورة البقرة : من الآية ٢١٣ .

أنباء الأمم وما رأيناه من آثارهم ، وما عرفناه من حال بعضهم اليوم يشهد شهادة لا يرتاب فيها من أديت إليه أن العناية الإلهية صارت بالإنسان كما سارت به في أفراده ـ يخلق الله الفرد من البشر ضعيف القوة فاقد العلم لا يعرف شيئاً عن أمره كما جاء في التنزيل ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] . . . على هذه السنة قادت العناية الإلهية جماعة البشر . . . فكما ينشأ الفرد قاصراً في جميع قواه ضعيفاً في جميع اعضائه كذلك نشأت الجمعية البشرية على ضرب من السذاجة لا تبلغ بها إلى تناول الشؤون الرفيعة والمعاني العالية والمعارف السامية غير أن الذي يربي الفرد ويسوس قواه إلى أن يبلغ رشده هو الأبوان أو من يقوم مقامهما ، والذي يكفل الجمعية ويربي قواها ويشد بناها ـ إنما هو الكون (؟!) وما يمسها من حوادثه والحاجات ووقعها والضرورات ولذعها . وكما يؤدب الصبّي أبواه يؤدب الجماعة شدّة وقع الحوادث الكونية منها وهي في هذا الطور لا هم لها إلا المحافظة على بنيتها الجسمية وحاجتها البدنية وليس عدنها من الزمن ما تتفرغ فيه لأدنى من ذلك كما هو شأن الطفل في صباه »[2] .

ثم يمضي في بيان هذه المراحل ، ويقول في موضع آخر « جاءت أديان والناس من فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناشيء الحديث العهد بالوجود ، لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه ويصعب عليه أن يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وأن يتناول من المعاني ما لا يقرب من لمسه . . . فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقى إليه فيما يصله بغيره اللهم إلا يداً تصل إلى فمه بطعام أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان أو يرقى إليه بسلم البرهان بل كان من عظيم الرحمة أن تسير

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

بالأقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سذاجة السن لا يأتيه إلا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره ، فأخذتهم بالأوامر الصادعة والزواجر الرادعة وطالبتهم بالطاعة وحملتهم فيها على مبلغ الإستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلي الغاية وإن لم يفهموا معناه ولم تصل مداركهم إلى مرماه وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه »[1] .

وعلق السيد رشيد رضا على هذا بأنه « صفة ديانات آخرها الديانة الموسوية وما يليها فهو صفة المسيحية »[1] .

ثم ذكر الشيخ عبده المرحلة التي انتقلت إليها البشرية بعد هذا إلى أن انتهى إلى مرحلة « كانت سن الإجتماع البشري قد بلغت بالإنسان أشده وأعدّته الحوادث الماضية إلى رشده فجاء الإسلام يخاطب العقل »[2] ويقول « ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد »[3] ويقول الأستاذ وجدي « وأما الآن حيث بلغ العقل أشده والنوع الإنساني رشده فلا تجدي فيه معجزة ولا تنفع فيه غريبة »[4] .

ولا ننسى أيضاً أن من تأثر المدرسة العقلية الحديثة بهذه النظرية ما ورد من تفاسيرهم للآيات التي وصفت قيام الساعة وذكرناها في مبحث البعث وإمارات الساعة، من نحو قوله تعالى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾[5] الآيات وما فسروها به من تفسير هو شبيه بتفسير هذه النظرية للحياة الأولى على الأرض .

يقول الأستاذ وجدي « إن روح الوجود الذي صور الكائنات كلها على أي أساليب الإيجاد شاء ـ سواء أخلق كلاً منها خلقاً مستقلاً أم اشتق بعضها

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٦ ـ ١٦٩ .
(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٦ ـ ١٦٩ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣١٥ .
(٤) المدنية والإسلام : محمد فريد وجدي ص ٧١ .
(٥) سورة الإنشقاق الآية الأولى .

من بعض على قاعدة التحول التدريجي - لم يقطع إمداده لها طرفة عين »[1] .

ولنكتف بهذا من بيان تأثر المدرسة العقلية الحديثة ابتداءا من شيخها محمد عبده إلى تلاميذه بهذه النظرية الباطلة .

ثم إن هذه النظرية ليست إلا من قبيل الفرضيات التي لم يقم عليها دليل علمي ولا برهان عقلي بل أصبحت في نظر كثير من العلماء المختصين من النظريات الباطلة التي عفى عليها الزمن ووضعها التاريخ في متاحفه وزواياه[2] نقول هذا لأولئك الذين لا يكفيهم ما ذكرناه من آيات تثبت خلق الإنسان من طين خلقاً متكاملاً مستقلاً .

ولنذكر هنا ما غفل عنه أرباب المدرسة العقلية الحديثة وغفل عنه أيضاً كثير من المتأثرين بهذه النظرية والمخدوعون بها .

ليعلم أولئك القوم أن الذي يقف خلف تلك النظرية الباطلة التي تناقض الأديان السماوية إنما هي الصهيونية العالمية التي تخطط من خلف الستار للقضاء على الأديان لا نقول هذا اعتباطاً أو تخرصاً بل نقوله مستندين إلى ما حوته بروتوكولات حكماء صهيون نفسها حيث جاء في البروتوكول الثاني : -

« لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد »[3] .

إذن فليست تلك النظرية ووقوف الصهيونية العالمية خلفها مع ظهور

---

(١) الإسلام دين الهداية والإصلاح : محمد فريد وجدي ص ١١ .

(٢) شبهات وردود : عبد الله علوان ص : ٩٩ .

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي ص ١٢٣ - ١٢٤ .

بطلانها ليست إلا ضربة من تلك الضربات التي توجهها الصهيونية إلى الأديان ـ ولأجل هذا كما يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى ـ فإن أوروبا التي كانت إلى ذلك الحين إنما تسير إلحادها بدون أرجل ، هرولت إلى تلقي هذه الأرجل الخشبية بكل قبول ، ووضعتها تحت كل شعبة من علومها الطبيعية بل وفي فلسفتها وأخلاقها وعلومها للعمران مع أنه كان ولا يزال في هذا التفسير من الوجهة العلمية والعقلية اضطرابات كثيرة لا يمكن لعاقل أن يقول معها أن هذا التفسير وجيه أو هو من التفاسير الجديرة بالإعتبار »[1] .

ولست في حاجة بعد هذا إلى سوق النصوص الكثيرة للباحثين الغربيين في إبطال هذه النظرية . والله الموفق . . .

---

(١) مجلة الأزهر السنة ٤٨ الجزء ٩ ص ١٣٤٣ مقال نظرية داروين : للشيخ أبو الأعلى المودودي .

سادساً : الملائكة

أكد القرآن الكريم على وجوب الإيمان بالملائكة المكرمين ، وأجمع علماء المسلمين إستناداً إلى هذا وإلى السنة النبوية الشريفة على كون الإيمان بالملائكة ركناً من أركان الإيمان لا يتم ولا يقوم إيمان المرء إلا به .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ آمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالمُؤْمِنُون كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[2] وقال سبحانه ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّين ﴾[3] .

ومن السنة ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . . . إلى أن قال . . قال فأخبرني عن الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » الحديث رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وروى البخاري نحوه .

---

(١) سورة النساء من الآية : ١٣٦ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٥ .
(٣) سورة البقرة من الآية : ١٧٧ .

ونصف الملائكة بما وصفهم الله سبحانه وتعالى به في محكم آياته لا نزيد على ذلك لأنه من أمر الغيب الذي لا يعلم إلا بدليل من الكتاب أو السنة ، فنكتفي بما ورد فيهما من صفاتهم ، وقد ورد في بيان صفاتهم في القرآن الكريم آيات كثيرة مجملها : ـ

١) العبودية لله عز وجل فليسوا أولاداً ولا أنداداً له سبحانه وتعالى ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة قال تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[١] . وقال سبحانه ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنبِيِّين أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٢].

٢) الطاعة التامة لأوامر الله لهم والملازمة لعبادته والدأب على ذكره وتسبيحه وحمده قال تعالى : ـ ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهَ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] وقال سبحانه ﴿ وَالمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرضِ ﴾[٤] .

٣) إن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وليس لنا أن نعلم شيئاً عن الصفات التفصيلية لهذه الأجنحة وكيفيتها إذ أنهم محجوبون عنا بارادة الله وحكمه ولم يفصل القرآن الخبر عن ذلك[٥] قال تعالى﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَواتِ والأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ ما يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾[٦] .

---

(١) سورة الانبياء الآية : ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ٨٠ .
(٣) سورة الأنبياء الآية : ٢٦ .
(٤) سورة الشورى من الآية : ٥ .
(٥) كبرى اليقينيات الكونية : محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٩٤ .
(٦) سورة فاطر : الآية : الاولى

٤) إنهم قادرون بإذن الله على التشكل والظهور بمظهر البشر قال تعالى عن ضيف إبراهيم وهم ملائكة : ـ ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾(١) وقال سبحانه عن مريم عليها السلام ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾(٢) والأحاديث التي تثبت أن النبي ﷺكان يرى جبريل عليه السلام على هيئة رجل ، كثيرة وإنه كان يتمثل على صورة دحية الكلبي .

وأما وظائفهم عليهم السلام فمتعددة ومتنوعة ورد القرآن الكريم بذكر كثير منها فمنهم الموكل بالوحي وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾(٣) وقال سبحانه ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾(٤) .

ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه وهو ميكائيل عليه السلام ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ . إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾(٥).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيل ، قال الله تعالى ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٢٥ .
(٢) سورة مريم من الآية : ١٧
(٣) سورة الشعراء الآيات : ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥ .
(٤) سورة النحل من الآية : ١٠٢ .
(٥) سورة الزمر الآية : ٦٨ .
(٦) سورة السجدةالآية : ١١ .

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله في يقظته ونومه وفي كل حالاته قال تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[2] .

ومنهم الموكل بكتابة أعمال بني آدم ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] .

ومنهم خزنة الجنة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[4] .

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفي يوم القيامة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[5] وقال سبحانه ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[6] .

ومنهم خزنة جهنم ومقدمهم مالك عليه السلام ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[7] .

ومنهم حملة العرش ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[8] ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

---

(١) سورة الرعد الآية : ١١ .
(٢) سورة الأنعام من الآية : ٦١ .
(٣) سورة الإنفطار الآيات : ١٠ و ١١ و ١٢ .
(٤) سورة الزمر الآية : ٧٣ .
(٥) سورة فصلت الآية ٣٠ .
(٦) سورة الأنبياء الآية : ١٠٣ .
(٧) سورة الزخرف من الآية : ٧٧ .
(٨) سورة غافر من الآية : ٧ .

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[1] .

وغير ذلك من الوظائف[2] التي أعدهم الله لها ووكلهم بها لا نثبت منها شيئاً ولا نعلمه إلا من طريق الوحي . ذلكم مجمل إعتقاد السلف في الملائكة عليهم السلام ـ وهو مستمدٌ من الكتاب والسنة الصحيحة أما البحث عما وراء ذلك من ماهية أجسامهم أو كيفية أجنحتهم ونحو ذلك فهذا مما لا يجوز الخوض فيه لعدم الدليل . وقد وقع هذا الخوضّ المذموم الذي لا يستند إلى دليل بل يخالف الدليل ويعارضه من طائفة من الفلاسفة فزعموا أن الملائكة قوى معنوية وأن جبريل عليه السلام هو العقل الفعال[3] وهو ما يتخيل من نفس النبي ﷺ من الصور الخيالية ، وكلام الله يوجد في نفسه كما يوجد في نفس النائم[4] .

ويثبت الشيخ محمد عبده في تفسيره قولين للعلماء في الملائكة قال عن الأول منهما : ـ

« أما الملائكة فيقول السلف فيهم : أنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الإيمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها إلى الله تعالى ، فإذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا نقول إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور إذ لو كانت كذلك لرأيناها وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر ألطف من هذا العالم المحسوس ، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته ، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به » .

---

(١) سورة الحاقة من الآية : ١٧ .

(٢) أنظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد : حافظ إبن أحمد الحكمي جـ ٢ ص ٧٨ ـ ٩١ .

(٣) أنظر ما كتبناه عن العقل ومراتبه في الهامش في آخر « الوحي » .

(٤) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : عبد العزيز المحمد السلمان ص ٣٧ .

ثم قال معلقاً « وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من وقفهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين إنما شرع للناس كافة ، فكان الصواب الإكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لأن تكليف الناس هذا البحث أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطاق ، ومن خصه الله تعالى بزيادة في العلم فذلك فضله يؤتيه من يشاء »[1]

وقد مال إلى هذا القول من تلاميذ المدرسة الشيخ عبد القادر المغربي حيث يقول في تفسيره « والملائكة من عالم الغيب الذي نؤمن به ، ولا نكلف أنفسنا عناء ما لم يكلفنا إياه الشرع من البحث عنه ، والتفكير في حقائقه فإن هذا غير مستطاع لنا ما دمنا في هذه الدار الدنيا »[2] .

ومال إليه أيضاً الشيخ شلتوت حيث يقول : ـ « والمسلمون الذين يؤمنون بأن مصدر العقيدة في الشئون الغيبية هو القرآن وحده ـ وهو الحق الذي نؤمن به ـ يقفون في الإيمان بالملائكة عند الحد الذي أخبر به القرآن عنهم أخباراً لا يحتمل التأويل ، ولا يحملون أنفسهم شطط الإعتقاد بما وراء الخبر اليقيني لا من جهة مادتهم (كيفية خلقتهم) ولا من جهة تشخصهم أو رؤيتهم ، وهم ـ في معتقدهم ـ عالم غيبي لا يعرفه الإنسان بإدراكه البشري ، وإنما يعرفه عن طريق الخبر الصادق عن الله سبحانه ، وهو ما جاء في القرآن أنهم جند من جنود الله ، حجب حقيقتهم عن الإدراك البشري خاضعون لسلطان الألوهية العام ، الذي لم يشذ عن الخضوع له شيء في الطبيعة ، أو فيما وراءها ، وهم وسائل الصلة بين الله وخلقه »[3] .

أما الرأي الثاني في الملائكة فإن الشيخ محمد عبده يرويه ناقلاً أول الأمر ولكنه يؤيده ويحبذه ويدافع عنه لأن فيه تقريب للإيمان بالملائكة من

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٥٤ .
(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٤٦ .
(٣) الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت ص ٣٠ .

عقول الماديين ، ثم يزعم أنه لا فرق بين هذا القول وقول السلف ؟! فالحقيقة واحدة وإنما الخلاف في الأسماء ، والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات قال عن هذا الرأي : « وذهب بعض المفسرين مذهباً آخراً في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والإنسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ، والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره وإن انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع ـ فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات »[1] ونقل الشيخ أحمد مصطفى المراغي هذا الكلام مؤيداً له[2] .

ثم لا يستبعد الشيخ عبده أن تكون الملائكة هي تلك النوازع التي نحس بها عندما نتردد بين فعل شيء أو تركه : ـ « يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعاً كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى ، فهذا يورد وذاك يدفع ، واحد يقول : إفعل وآخر يقول : لا تفعل ، حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ، ونسميه قوة وفكراً ـ وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٢) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ٨٦ ـ ٨٧ .

حقيقتها ـ لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكاً (أو يسمى أسبابه ملائكة) أو ما شاء من الأسماء فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع »[1] .

ويبرر السيد رشيد رضا قول أستاذه بـ « أن الإمام الغزالي سبق إلى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال أنه سمي ملكاً فإنه بعد ما قسم الخواطر إلى محمود ومذموم قال « ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ، ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما إختلفت الحوادث دل ذلك على إختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الإستنارة ، وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً ، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً ، واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقاً ، والذي يتهيأ به لقبول الشر يسمى إغواءً وخذلاناً ، فإن المعاني المختلفة تحتاج إلى أسامي مختلفة » أ. هـ »[2] .

ثم يطبق الشيخ محمد عبده هذا المفهوم على قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[3] فيقول : ـ « فإذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به ، خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض ، وعبر عن تسخير هذه القوى

---

(١) تفسيرالمنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية : ٣٤ .

له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الإستعداد الذي لا حدّ له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في الأرض لأنه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التي تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعداً للوصول إليها »[1] ونقل الشيخ أحمد مصطفى المراغي هذا القول مؤيداً له[2] ثم زعم كشيخه أن هذا التأويل غير مخالف للدين ما دام القلب مطمئناً إلى هذا المفهوم والنفس راضية به قال : ـ « ولو أن نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من دلك والعمدة على إطمئنان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت من الحق »[2] .

وبين السيد رشيد غرض أستاذه وشيخه من هذا التأويل بقوله « أن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به آخرون فأنكروا عليه وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل »[3] .

وردّ الشيخ عبده على أولئك المنكرين عليه تأويله بقوله : ـ « ولست أحيط علماً بما فعلت العادة والتقاليد في أنفس بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين إذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى والمخدجون من جيد الأطعمة التي لا تضرهم ، وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ، ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تشبث أولئك المرضى والمخدجين بأضر طعام يفسد الأجسام ، ويزيد السقام ، لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح

---

(١) تفسير المنار :محمد رشيد رضا جـ ١ص ٢٦٩ وتفسير المراغي جـ ١ص٨٧ .

(٢) أنظر تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ٨٧ .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٠ .

أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة ، أليس الروح في الآدمي مثلاً هذا الذي يظهر لنا في إفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والإرادة والعمل ، وإذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له ، فإذا سمى الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحاً ، فهل يضر ذلك بالدين أو ينقص معتقده شيئاً من اليقين ؟ » ثم قال« . . لو أن مسكيناً من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء وأذربهم لساناً أخذ بما قيل له أن الملائكة أجسام نورانية قابلة للتشكل ثم تطلع عقله إلى أن يفهم معنى نوارنية الأجسام ، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذباً له المصباح أو سلك الكهرباء ؟ ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسما يريد وكيف يكون ذلك ؟ ألا يقع في حيرة ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة بعد شكاً ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون أبواب الغيب يطرف لما لا يستطيع النظر إليه ، لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه وكلف نفسه علم ما لا تعلمه فلا يعد مثله ممن آمن بالملائكة إيماناً صحيحاً وأطمأنت بإيمانه نفسه ، وأذعن له قلبه ولم يبق لوهمه سلاح ينازع به عقله كما هو شأن صاحب الإيمان الصحيح ، فليرجع هؤلاء إلى أنفسهم ليعلموا أن الذي وقر فيها تقاليد حفت بالمخاوف لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة » ثم قال « . . هذه القوى التي نرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا إلى آثار تجل إذا كشفت وتقل بل تضمحل إذا حجبت وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، وبها ينشأ الناشيء ، وبها ينتهي إلى غايته الكامل كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب وإن كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز أن يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والإختيار خاص بها لا تدرك كنهه لاحتجابه بما نتصوره من حياتنا واختيارنا ؟ ألا تراها توافي بأسرارها من

ينظر في آثارها ويوفيها حق النظر في نظامها ؟ يستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق إلى إستدرار منافعها ؟ »[1] .

أما تمثل الملك الذي أشار إليه في قوله هذا فقد وضحه في موضع آخر بما تشعر منه أنه يقلل من شأن أدلة إثباته عند السلف لكونهم « يكتفون » في إثباته بكذا ولعل ذلك الوصف يحمل بين طياته عدم الإقتناع العقلي الذي يبحث عنه هو وأضرابه . هذا ان سلمنا له ذلك .

قال « وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم : أنه ممكن في نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه . ونقول اليوم : إن العلوم الكونية لم تبق شيئاً من أخبار عالم الغيب غريباً إلا وقربته إلى العقل بل وإلى الحس تقريباً ، بل ظهر من الإختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ما كان يعد عند الجماهير محالاً في نظر العقل لا غريباً فقط ، فإذا كان الإنسان الكيميائي يحلل الأجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها ، ويكثف العناصر اللطيفة فتكون كالجامدة بطبعها فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه ، وهو من الأرواح ذات المرة والقوة العظيمة يأخذه من مواد العالم المنبثة فيه هيكلاً على صورة الإنسان مثلاً ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبة التي لا يوجد شيء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب إلا وفيها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده ، وهل الكهرباء إلا قوة مسخرة للملائكة ؟ ودع ما يثبته الألوف من علماء الأمم كلها من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصور الأجساد »[2] .

ثم يبسط الشيخ عبده معتقده في الملائكة فيقول « . . . أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء ؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض ؟ وهل حددت أمكنتها ، ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى أجسامهم النوارنية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام ؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك ، وما بين يديك وما خلفك ، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها ، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك ، وأدعى إلى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ووقعت على سر من أسرار الكتاب ؟ فان لم تجد في نفسك إستعداداً لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في إدراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به ، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته ، وهم في إيمانهم أعلى منك كعباً ، وأرضى منك بربهم نفساً ، ألا إن مؤمناً لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة ، ومن فضل ربه في سعة »[1] .

ويؤيده تلميذه السيد رشيد في هذا التأويل حيث يقول أنه « . . أراد بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحي من طريق علمهم المسلم عندهم . . فأنكره عليه عباد الألفاظ وهم لا يعقلون مراده ، وهو بمثل هذه الأساليب في الإقناع بحقية الدين كان حجة لله في هذا العصر : حتى قال له أحد نوابغ رجال القضاء والأذكياء أنك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذي يقبله العقل ولا يأباه العلم قد قطعت الطريق على الذين يظنون أنه قد اقترب الوقت الذي يهدمون فيه الدين ويستريحون من قيوده وجهل رجاله وجمودهم »[2] .

أما تمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام فيقول الشيخ عبده عنه « أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الأرواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٤ .

عهد عند أعداء الأنبياء ما لا يبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل إلى درجة المحسوس ، فيصدق المريض في قوله أنه يرى ويسمع ، بل يجالد ويصارع ، ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع ، فإن جاز التمثل في الصور المعقولة ولا منشأ لها إلا في النفس وأن ذلك يكون عند عروض عارض على المخ ، فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفوس العالية ، وأن يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم ؟ وغاية ما يلزم عنه أن يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لأن شأنهم في الناس أيضاً غير الشؤون المألوفة ، وهذه المغايرة من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه أن أمراض القلوب تشفى بدوائهم وأن ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في أممهم التي تأخذ بمقالهم ، ومن المنكر في البديهة أن يصدر الصحيح من معتل ويستقيم النظام بمختل »[1] .

ذلكم ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده وتلميذاه السيد رشيد رضا والشيخ أحمد مصطفى المراغي في أمر الملائكة وليس لنا من تعليق أكثر مما أجملنا ذكره عن الملائكة من آيات في القرآن الكريم عليها وعلى أمثالها من الآيات قام معتقد أهل السنة والجماعة .

وما عدا ذلك مما ذكره الشيخ محمد عبده وتلاميذه لا يقوم على أي مستند من الكتاب أو السنة بل هو من الخوض في أمور لا تدرك إلا بالوحي إكتفوا باستقائه من خيالاتهم وتبلبل أفكارهم واضطراب عقائدهم .

بل إن بعض ما ذكروه يخالف القرآن الكريم ويشكك في معتقد أولئك القوم الذين استمدوا عقيدتهم من القرآن الكريم فاعتقدوا أن الملائكة قابلة

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١١٢ ـ ١١٣

للتشكل والظهور بمظهر البشر كما أسلفنا حيث يقول « وهل النور وحده له قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء ؟ ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك ؟ ألا يقع في حيرة ، ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة بعد شكاً ؟ »[1] .

ويشكك في موضع آخر من غير تصريح بذلك في قوله تعالى ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[2] ونحو ذلك من الآيات فيقول « أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء ؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض ؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام ؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك ، وما بين يديك وما خلفك وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلاً يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها . أفلا يكون ذلك أروح لنفسك ، وأدعى إلى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ووقفت على سرّ من أسرار الكتاب »[3] .

ماذا يريد الشيخ عبده بهذا التأويل وهذا المفهوم ؟ هل يريد أن يؤكد لنا مرة أخرى تكذيبه للقرآن الكريم كما كذب قصصه بحملها على التمثيل لا على الحقيقة والواقع ؟! ماذا يريد بزعمه هذا ؟ هل يريد أن يقول أن القرآن لم يخبرنا عن الحقيقة في أمر الملائكة بل أخبرنا بألفاظ كانت مألوفة ومعروفة

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧١ .

(٢) سورة ق : الآية ١٧ .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٣ .

حتى لا تصيبنا « الوحشة والدهشة » إذا ما أخبرنا بحقيقتهم ، وأن القرآن ترك لنا النظر في الوصول إلى « ما تطمئن إليه نفوسنا » حتى ولو وصلت إلى ما يخالف القرآن ؟!

ذلكم ما يدل عليه كلامه شاء ذلك أم أبى وأحسبه لا يأبى ذلك لأنه بادر إلى تطبيق معتقده وحمل أمر سجود الملائكة لآدم عليهم السلام على التمثيل كما نقلنا عنه ذلك .

وما أصدق محمد الصادق عرجون في وصف مذهب الشيخ عبده وتلاميذه بقوله « أن هذا الطريق في تفسير آيات القرآن الحكيم بتسليط التأويل على كل ما يتعاصى فهمه على بعض العقول وإحالة أو إستبعاد ظاهر المعنى إلى ضرب من التمثيل ، هو الذي يخشى أن ينفذ منه (المتقرمطون) إلى تحريف كلم الله عن مواضعها ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين . . إن هذا القرآن العظيم أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين هدى للناس ورحمة ، ولم ينزله بالإشارات والرموز والإيحاءات . . »[1] .

ثم ما الفرق بين من ينكر وجود الملائكة وبين من يزعم أنها قوى طبيعية ما دام منكر الملائكة يقر ويعترف بوجود قوة نمو في النبات وخلقه في الحيوان وحفظ في الإنسان ولكنها قوى طبيعية لا ينطبق عليها ما ورد في القرآن الكريم من أوصاف للملائكة ؟!

أن الأمر لا يعدو محاولة يائسة من أولئك المنهزمين أمام الماديين لتقريب عقيدة الإيمان بالملائكة إلى أذهانهم ولكنها محاولة أخرجتهم من عقيدة السلف العقيدة الصحيحة في الإيمان بالملائكة إلى عقيدة باطلة وغير مقنعة أيضاً لأولئك الماديين ، فضاع المنهزمون بين العقيدتين كالعنز الجرباء في الشمأل البليل . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،،

---

(١) نحو منهج لتفسير القرآن : محمد الصادق عرجون ص ٣٩ ـ ٤٠ .

سابعًا : الجـــنّ .

أما وجودهم فقد دل القرآن الكريم عليه ، صراحة في آيات كثيرة قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾[1] .

وورد فيه من صفاتهم ما نذكر منه هنا إثباتاً لعقيدة السلف الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم ـ فيهم ، فمن ذلك : ـ

١ ـ أنهم خلقوا من نار ،

قال تعالى ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾[3] .

٢ ـ أن الله أرسل إليهم رسلاً ،

قال تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾[4] .

٣ ـ أن منهم مؤمن ومنهم كافر ،

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .
(٢) سورة الحجر الآية : ٢٧ .
(٣) سورة الرحمن الآية : ١٥ .
(٤) سورة الأنعام من الآية : ١٣٠ .

قال تعالى حكاية عنهم ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾[1] ﴿ وَأَنَّا مِنَا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾[2] .

٤ ـ أن منهم شياطين كشياطين الإنس يوسوسون في الصدور ،

قال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[3] .

٥ ـ أن الله يعاقب العصاة منهم بالنار كالعصاة من الإنس :

قال تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[4] .

٦ ـ أن الله أعطاهم قوة لا توجد في الإنس ،

قال سبحانه ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[5]

وقال سبحانه عن الجن في ملك سليمان عليه السلام ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾[6] .

---

(١) سورة الجن الآية : ١٢ .
(٢) سورة الجن من الآية : ١٥ .
(٣) سورة الناس .
(٤) سورة هود من الآية : ١١٩ .
(٥) سورة النمل الآيتين : ٣٨ ـ ٣٩ .
(٦) سورة سبأ من الآية : ١٣ .

٧ ـ أن قدرتهم ناقصة ،

قال تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾[١] .

٨ ـ لا يعلمون الغيب ،

قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً ﴾[٢] وقالوا ﴿ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾[٣] .

٩ ـ أنهم يتزوجون ،

قال سبحانه عن الحور العين ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ ﴾[٤]

١٠ ـ أنهم يتناسلون ،

قال سبحانه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾[٥] .

١١ ـ أنهم يروننا من حيث لا نراهم ،

قال سبحانه ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ

---

(١) سورة الرحمن الآية : ٣٣ .
(٢) سورة الجن الآية : ٧ .
(٣) سورة الجن الآية : ١٠ .
(٤) سورة الرحمن الآية : ٧٤ .
(٥) سورة الكهف الآية : ٥٠ .

الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[1] ولا تدل الآية هذه على عدم إمكان رؤ يتهم إذ لو كان ذلك هو المراد لقال أنه يراكم هو وقبيله ولا ترونهم ولكنه سبحانه قال ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ فـدل ـ فيما نرى ـ على أن عدم رؤ يتنا لهم مخصوص في بعض حالاتهم ، ذلكم أن الله أعطاهم قدرة على أن يتشكلوا بأشكال لا نستطيع رؤ يتهم بها وأعطاهم قدرة على أن يتشكلوا بأشكال نستطيع رؤ يتهم بها ، وهم في الحالة الأولى يستطيعون رؤ يتنا من حيث لا نراهم كما لو نظرت إلى إنسان من مكان لا يمكنه رؤ يتك منه فإنك تستطيع القول أني أراه من حيث لا يراني ولا يعني هذا عدم إمكان رؤ يتك في حالات أخرى .

وإلا فقد ورد أنه ﷺ قد رآهم واجتمع بهم ورآهم بن مسعود رضي الله عنه ، بل وكثرت الروايات والقصص والأخبار عنهم وكثرت أسماؤ هم وأنواعهم ورآهم كثير من الناس قديماً وحديثاً ، وأن أمكن نسبة آحاد منه إلى الكذب أو الوهم فإنه لا تمكن نسبته كله إلى ذلك ولا يمكن تواطؤ هم عليه .

ذلكم مجمل ما ورد من صفاتهم في القرآن الكريم وقد ورد من صفاتهم في السنة النبوية الصحيحة أنهم يأكلون فقد سألوه ﷺ الطعام فقال لهم « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح .

ذلكم مجمل معتقد السلف في أمر الجن ولا يصفونهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لأنهم من أمور الغيب الذي لا

---

(١) سورة الاعراف من الآية : ٢٧ .

يمكن إدراكه إلا بالوحي .

وقد أنكرت طائفة من الناس كالماديين ونحوهم الجن وأحوالهم وزعموا وبئس ما زعموا أنه لا يصح الإيمان بذلك إلا بواسطة التجربة والمشاهدة بل يجب أن يقوم الإيمان بذلك على تجارب يمكننا تكرارها اليوم مؤملين أن نزيد عليها غداً ؟ ! ذلكم شرطهم في إثبات وجود الجن ونحوهم وهو شرط لا يقوم على قواعد ثابتة بل ينقضه إيمان الشخص كل شخص بوجود أشياء لا تستوفي هذا الشرط ليس هذا مجال مناقشة ذلك ومع تهافت هذا الشرط ومخالفته للحقائق إلا أنا نرى بعض المنتسبين للإسلام يشيدون به ؟!

فقد أشاد به الأستاذ محمد فريد وجدي حيث يقول « هذا شرط العلم في قبول الأصول الإعتقادية وهو شرط لا يجوز الإستخفاف به ولا إغفاله لأن العلم آخذ في الإنتشار بخطوات واسعة وأساليبه المحررة وآثاره الفاتنة أثرت في العقول أبلغ تأثير ، وانتشرت معها شبهات لم تدع محلا للعقيدة في العقول وضعفت حجة الإعتقاديين أمام هذا التحدي ضعفاً ظهرت نتائجه في الجماعات »[1] .

ذلكم ما رآه الأستاذ وجدي ولا أدري كيف سوغ لنفسه القول « هذا شرط العلم في قبول الأصول الإعتقادية » هل أخبره العلم بهذا الشرط أم سمعه من أفواه الماديين ؟ !

كان الاحرى والأصوب أن يقول « هذا شرط الماديين في قبول الأصول الإعتقادية » فهم الذين قالوا ذلك وهم الذين اشترطوه ولم يشترطه العلم ولا أهل العلم .

ولكن إعجاب الأستاذ وجدي بالمدنية والحضارة الغربية الحديثة جعله ينسب كل ما يسمعه منهم إلى العلم وأعطاه رتبة القداسة فـ « لا يجوز

---

(١) مجلة الرسالة السنة ١٣ العدد ٦٠٢ ص ٥٨ مقال « الدين في معترك الشكوك » للأستاذ محمد فريد وجدي .

الإستخفاف به ولا إغفاله » .

ورفع رجال العلم أولئك إلى درجة الأنبياء ؟ حيث يقول « هؤلاء الرجال الثلاثة غاليليه وديكارت ونيوتن قد يعتبرون أكبر رجال العلم أوجدهم الخالق ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور »[1] .

وزعم وبئس ما زعم أن الماديين بهذا الشرط الذي اشترطوه لقبول مقررات الدين قد ظهروا على خصومهم وما زالوا ظاهرين حتى سنة ١٨٤٦م (؟ !) ولندعه يوضح لنا ذلك .

« وقد اتخذ الماديون في أوربـا هذا الأمر ـ يعني شرط العلم السابق ـ سلاحاً لمقاتلة الدينيين والنعي عليهم فلم يجيء القرن التاسع عشر حتى كان أنصار الدين في ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المباديء المادية ظهورا لا مزيد عليه وتذرعوا بهذا السلاح لنكران الخالق والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص العلم ، وما زال الماديون ظاهرين على خصومهم حتى ظهرت المباحث الروحانية في سنة ١٨٤٦ م بأمريكا أولا ثم انتقلت منها إلى أوروبا »[2] [3] .

ثم أحس بخطورة ما قال وما قرر فأراد أن يخفف الوطء فقال « ومرادنا بالدين الدين المطلق لا ديناً خاصاً ، فصارت العقائد الأولية العامة لجميع الأديان مثل الروح والخلود وعلم الملأ الأعلى مما يدخل في دائرة اختصاص العلم »[4] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي مادة (علم) جـ ٦ ص ٥٩٩

(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥ .

(٣) ويجب أن نعرف أن أمريكا أولاً ثم أوروبا هي منطقة نفوذ الصهيونية العالمية التي تسعى إلى بث مثل هذه الشعوذات في العالم غير الأممي ـ غير اليهودي ـ لهدم الأديان .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي مادة (علم) جـ ٦ صفحة ٥٨٤ ـ ٥٨٥ .

بقى أن أقول ترى وإن ثبت ـ بل ثبت أن تحضير الأرواح من أمور الشعوذة والدجل الذي ليس هذا مجال إثباته ـ إن ثبت هذا هل يعود الظهور للماديين على المتدينين كما كانوا قبل عام ١٨٤٦م ؟!

لم يكن هذا القول ونحوه معتقد السيد وجدي وحده ولنقرأ للشيخ أحمد مصطفى المراغي ما يراه في الموضوع عند تفسيره لسورة الجن قال عن عالم الجن « وهو عالم لم يعرف في الإسلام إلا من طريق الوحي وليس للعقل دليل عليه ، ولقد أصبحت هذه العوالم المستترة عنا الشغل الشاغل اليوم للعلماء والباحثين فصار علماء أوروبا يدرسون عالم الملائكة وعالم الجن وعالم الأرواح ، ويطلعون على غوامض هذه العوالم ، فتحدث الناس مع أرواح أصحابهم الذين ماتوا ، واتصل العالم الإنسي بالعالم الجني ، وبعالم الأرواح الطاهرة وهم الملائكة »[١] .

ثم قال « واعلم أن ما جاء في هذه السورة من السمعيات التي لا دليل عليها من العقل قد بقي في الإسلام حوالي أربعة عشر قرناً تتلقاه الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل دون بحث عن حقائقه حتى عني علماء أوربا في العصر الحديث بالبحث عنه . . »[٢]

ذلكم ما اعتقدوه في تحضير الأرواح أنها الدليل العلمي لإثبات عالم الملائكة وعالم الجن وعالم الأرواح بل والأمور الغيبية كلها .

ولن نذهب في إثبات بطلان هذه المباحث الروحية وشعوذتها بل نكتفي بنقل نص من نصوص الأرواح المزعومة نقله الأستاذ وجدي نفسه وهو حين ينقله فإنه ينقله نقل المؤمن به والمصدق له كيف لا ؟ وهو من أبحاث رجال العلم في أوروبا وأحرار الإفرنج .

نقل وجدي عن الأرواح المزعومة قولها « نحن مرسلون من عند الله كما

---

(١) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ٢٩ ص ٩٣ .
(٢) المرجع السابق جـ ٢٩ ص ٩٤ .

أرسل المرسلون من قبلنا غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم[1] فإلهنا هو إلههم إلا أن إلهنا أظهر من إلههم وأقل صفات بشرية وأكثر خصائص إلهيه »[2] « لا تخضع لأية عقيدة مذهبية ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لا تستند على العقل . ولا تأخذ بلا تحفظ وحيا جاء لأحوال خاصة في عصر من العصور[1] . . . وستعلم بعد أن الوحي لا ينقطع أبداً وهو آخذ في الترقي ولا وقت له ولا حدّ وليس هو بامتياز لأمة دون أمة ولا شخص دون شخص . والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئاً »[3] .

وعلى كل حال فإني ما نقلت عن هذين ما نقلت وأنا أقصد الرد عليهما وعلى أمثالهما في هذا الموضوع لأن نقل بعض النصوص مجرد نقل فيه الكفاية لإدراك المسلم الواعي العارف لدينه بطلانه ، ويعرف منه أيضاً درجة إيمان معتقديه ـ وهذا ما قصدت إليه وأرى فيه كفاية .

ولنواصل الحديث بعد هذا مع بقية رجال المدرسة ولنذكر ما رأواه من أدلة في إثبات وجود الجن .

وقد حاول الشيخ عبد القادر المغربي أن يصبغ دليله بصبغة الدليل العلمي الحديث تقريباً لعقول الماديين ومقلديهم فقال في تفسير سورة الجن « إن وجود قوى روحانية وعوالم غيبية استترت عن حواسنا بأعيانها ، وتجلت لنفوسنا بآثارها ، وما تواتر من أخبارها أمر محقق لا ريب فيه ، ولنضرب لها مثلاً القوات الطبيعية التي كانت مجهولة للبشر منذ أقدم أزمنة التاريخ ، كالكهربائية التي لو قصّ قاص ما سيكون من أمرها وغريب أعمالها على البشر

---

(١) هذا هو الهدف الذي تحلم الصهيونية العالمية بالوصول إليه وجندت كل وسائلها وأجهزتها لبلوغه إلغاء الأديان كافة وتسليم العالم أجمع لقيادتهم وتعاليمهم جربوا ولا زالوا الماسونية وجربوا كذلك التقريب بين الأديان وجربوا تحضير الارواح ولا تزال في الأمر بقية فهل من وعاة دعاة ؟ !

(٢) مجلة المقتطف فبراير ١٩٢٠ ص ١٤٧ مقال إثبات الروح بالمباحث النفسية : محمد فريد وجدي .

(٣) المقتطف فبراير ١٩٢٠ : المقال السابق ص ١٤٩ .

وهم في طور سذاجتهم لعدوه كذباً حبرياً[1] وما نعرفه اليوم من خواص الكهربائية قليل بالنسبة إلى ما ينتظر أن يعرف منها في المستقبل ، وما يدرينا أن يخلف الكهربائية قوة أو قوات أخرى أغرب منها وأعجب ، وهذا الراديوم على الأبواب » ثم قال « وإذا كنا لا نصدق إلا ما نشعر به بحواسنا فهذه أرواحنا التي في أبداننا لا نراها ولا نسمعها ولا نشمها ولا نذوقها ولا نلمسها ، ولكننا نؤمن بوجودها ونعترف بعالمها فما عدا ممّا بدا ؟

وبعد فإن عالم الجن كعالم الملائكة ، من المغيبات التي أمرنا بالإيمان بها ، ولم نكلف رحمة بنا أن نروي من أخبارها وأطوارها أكثر مما ذكره الوحي لنا ، فلنعقل منه ما نعقل ، ولنكل أمر ما لا نعقل إلى الله فهو سبحانه وتعالى القادر على أن يعرفنا في مستقبل الزمان من أمره ، ويكشف لنا من مكنون سره ما يكون عقدة اتصال بين العلم الصحيح والوحي الصريح »[2] .

وجعل الشيخ محمود شلتوت الإيمان بوجود الملائكة والجن ونحوهم من الأمور التي فطر عليها الناس حيث قال « فطر الناس على أن في العالم خلقاً آخر غير الإنسان يعرفونه بآثاره ولا يرون أشباحه ولا يعرفون حقيقته ، وقد صرحت بذلك جميع الكتب السماوية بعبارات واضحة لا تحتمل التأويل كما صرحت بالعناوين الخاصة بهذا الخلق فذكرت الملائكة . . . وذكرت الجن وجعلتهم نوعاً مقابلاً للإنسان يندرجان تحت عنوان « الثقلين »[3] ثم قال « وإذن فليس في وجود الجن شك وليس في تحميلهم شرائع الله ورسالاته شك وليس في مسؤولياتهم ومؤاخذتهم بالتقصير شك ، وليس في استعدادهم لاستماع القرآن وتلقيه وفهمه وتدبره والتأثر به شك فكل هذا حق لا ريب فيه ومن لم يؤمن به فليس بمؤمن بالقرآن ولا برسالة السماء وإن

---

(١) كذب حبريت : خالص مجرد لا يستره شي . . ويقال أيضاً : كذب بحريت.

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي : ص ٦٧ .

(٣) إلى القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١٥٦ .

محاولة تأويل شيء منه تحريف للكلم عن مواضعه ، وسلخ للألفاظ عن معانيها ، وضيق عطن من المولعين بإنكار ما لا يدركه الحس »[1] .

ورد السيد رشيد رضا على أولئك الماديين الذين أنكروا الجن فقال : ـ « والماديون المحجوبون ينكرون مثل هذا «ومن جهل شيئاً عاداه » ولو قيل لمن كان على شاكلتهم قبل كشفهم هذه الجنة (الميكروبات) إن في العالم أنواعاً كثيرة من المخلوقات الخفية التي لا يمكن أن يراها أحد بعينيه هي سبب الأدواء والأمراض التي لا تحصى ، وهي سبب التغيّرات والإختمارات التي نراها في المائعات والفواكه وغيرها ـ لقالوا إنما هذه خرافة من الخرافات »[2] .

هذا ما قالوه من ناحية مبدأ الوجود أما من ناحية حقيقة خلقهم وكيفيته فبالإضافة إلى توقفهم في ذلك إلا إنهم لا يرون مانعاً من احتمال كون هذه الجراثيم والميكروبات نوعاً من أنواع الجن الكثيرة المتعددة الأنواع .

حيث يقول السيد رشيد « وقد كان غير المسلمين يعدون من هذا القبيل ـ أي من قبيل الخرافات ـ حديث أبي موسى « الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة » رواه الحاكم وصححه ، ثم صاروا بعد اكتشاف باشلس الطاعون يتعجبون منه بصدق كلمة « الجن » على ميكروب الطاعون كغيره ، وقد ورد أن الجن أنواع منها ما هو من الحشرات وحشائش الأرض »[2] .

ويقول في موضع آخر « وفعل جنة الشياطين في أنفس البشر كفعل هذه الجنة التي يسميها الأطباء الميكروبات في أجسادهم وفي غيرها من أجسام الأحياء تؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقى »[3] .

---

(١) إلى القرآن الكريم : محمود شلتوت : ص ١٥٦ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٣١٩ .
(٣) المرجع السابق : جـ ٨ ص ٣٦٤ .

ويقول « وقد قلنا في المنار غير مرة أنه يصح أن يقال أن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعاً من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض ، قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن ، على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء أو اضافة شيء إليه مما لا دليل عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الآحادية فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم »[1].

وقد يستدل مستدل بنوع من الأدلة يحسبه مؤيداً لما ذهب إليه السيد رشيد رضا من نحو :

أولاً : قوله تعالى ﴿ اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[2] والمراد بالمس الصرع وهو من الأمراض العصبية وسببها بإذن الله تلك الجراثيم التي تدخل جسم الإنسان .

ثانياً : قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[3] وتلك الميكروبات ترانا من حيث لا نراها ولكن الله سبحانه مكننا من رؤيتها بالمكبرات .

ثالثاً : الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة والدارمي وأحمد وجاء فيه « أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم » ولا شك أن الجراثيم تلك تجري في خلايا جسم الإنسان وفي دمه حيث تنقل الأمراض وحيث تسري في البدن مع أن المراد به في الحديث وسوسة الشيطان في صدر بني آدم ولكن لفظه عام .

رابعاً : ما رواه مسلم وأحمد والدارمي عن رسول الله ﷺ « اذا تثاءب أحدكم

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٧٥ .

(٣) سورة الأعراف : من الآية ٢٧ .

فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب » ولا شك أن الفم من أهم مداخل الميكروبات إلى جسم الإنسان سيما إذا كان في حالة التثاؤب فقد يلج منه ذباب وقد يلج منه ميكروبات وجراثيم لا نراها ويمنع هذا وضع اليد على الفم .

خامساً : ما رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد عن النبي ﷺ « إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه » ولا شك أيضاً أن الخياشيم من مداخل الميكروبات إلى جسم الإنسان سيما وأن ما يخرج من الأنف من إفرازات يزيد الأمر أهمية ويزيد من واجب الإعتناء به وتنظيفه .

سادساً : ما رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « فناء أمتي بالطعن والطاعون فقيل يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون » قال وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهداء « والطاعون كما هو معروف ينتقل بالعدوى بإذن الله ولذا ورد النهي عن دخول بلد وقع فيه الطاعون أو الخروج منه وإنما تكون العدوى بانتقال تلك الميكروبات إلى جسم الإنسان السليم من جسم الآخر المريض .

قد يفهم بعض الناس من هذا احتمال كون الميكروبات والجراثيم من أنواع الجن مستأنساً بهذه الأدلة ، والحق أنه لا يحق لأحد منا أن يقول بشيء من هذا لأن ذلك من الأمور الغيبية التي لا بد من إستنادها إلى وحي يوحى وقد انقطع الوحي بوفاته ﷺ فوجب التوقف في أمرها وإسناد علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى .

وعلى كل حال ـ فالواجب ـ كما قلنا ـ تفويض علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى وما كنا لنخوض في ذلك لولا أن رأينا ما ذهب إليه السيد رشيد في أمرهم كاد أن يكون خالياً من الإستدلال فخشينا أن يستدل أحد من بعدهم بهذه الأدلة على ما ذهبوا إليه ، فرغبنا قطع الطريق عليه ببيان أن تلك الأدلة ليست حجة في الموضوع بل يدخلها الإحتمال الذي يسقط به الإستدلال

نذكر هذا حتى لا يحتج به من بعدهم من يذهب إلى ما ذهبوا إليه ونرد عليه أيضاً بما ذكرنا في الرد عليهم مما لا داعي لإعادته وتكراره فالقضية واحدة والمذهب واحد وكذا الرد عليهم أيضاً واحد والواجب على المسلم السليم العقيدة أن يفوض علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى .

ولا نقبل من تأويلات المدرسة العقلية الحديثة لأحوالهم ما زعمه السيد رشيد رضا في قوله تعالى ﴿ اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[1] حيث زعم السيد رشيد أن هذا ليس تقريراً من القرآن لكون الشيطان هو الذي يتخبط الممسوس أو المصروع وإنما ورد هذا على ما كان معروفاً عند العرب ؟ فقال السيد رشيد : ـ « ثم أن التشبيه مبني على أن المصروع الذي يعبر عنه بالممسوس يتخبطه الشيطان أي أنه يصرع بمس الشيطان له وهو ما كان معروفاً عند العرب وجارياً في كلامهم مجرى المثل »[2] ثم قال « فالآية على هذا لا تثبت أن الصرع المعروف يحصل بفعل الشيطان حقيقة ولا تنفي ذلك »[2] ثم قال « وهذا ليس برهاناً قطعياً على أن هذه المخلوقات الخفية التي يعبر عنها بالجن يستحيل أن يكون لها نوع اتصال بالناس المستعدين للصرع فتكون من أسبابه في بعض الأحوال »[2] .

وكان الشيخ أحمد مصطفى المراغي أكثر تصريحاً في حمل نص القرآن على أنه جاء موافقاً لما يعتقده العرب وإن كان من « زعماتهم » فقال « وتخبط الشيطان للإنسان من زعمات العرب ، إذ يزعمون أنه يخبط الإنسان فيصرع ، فورد القرآن على ما يعتقدون وكذلك يعتقدون أن الجني يمس الإنسان فيختلط عقله ويقولون رجل ممسوس : أي مسه الجن ورجل مجنون : إذا ضربته الجن ولهم في ذلك قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المحسوسات ، فجاءت الآية وفق ما يعتقدون ، ولا تفيد صحة

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٧٥ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٩٥ ـ ٩٦ .

هذا ولا نفيه »[1] .

ثم أراد الشيخ المراغي المغالطة فقاس هذا التشبيه ـ ليؤيد تأويله ـ بالتشبيه في قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم التي تكون يوم القيامة طعام أهل النار ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[2] وما رأى أحد رؤوس الشياطين لكنها جاءت بحسب ما يتخيلون ويزعمون »[1] .

ونسي الشيخ المراغي وهو في غمرة الحماس لتأييد قوله أن القياس هنا مع الفارق فالتشبيه الأول تشبيه آكل الربا بشيء معروف لديهم وواقع عندهم وهو تخبط من به مس ، أما في الثاني فإنه تشبيه بأمر غير مشاهد عندهم وغير معروف بعكس الأول ، ولكن عرف من التشبيه الثاني كون الشيطان على أقبح الصور وأقبح الأشكال من غير مشاهدة أو رؤية له فالقياس مع الفارق فلا يصح .

ثم أن الأمر الأخطر من هذا كله والأعظم أن نحمل نصوص القرآن الكريم على موافقة معتقدات العرب الباطلة وإقراره لها من غير نكير ومن غير إبطال لها .

وإذا ـ لو فتح هذا الباب لولج منه القرامطة والمتقرمطون بل أعداء الدين الإسلامي بشتى أنواعهم مبطلين لعقائده وزاعمين أنها حكاية لمعتقدات العرب الباطلة جاء بها القرآن ولم ينكرها لأن إنكارها عند العرب بمثابة إنكار المحسوسات ؟!

وهذا يذكرنا بموقفهم من قصص القرآن الكريم وصرفهم لها عن كونها حقيقة واقعة إلى أنها تمثيل وتخييل .

وهل يصح أن يقال هذا ؟ إذن لهدم الإسلام من أساسه ! أليست تلك الأساليب من معاول هدم الإسلام ؟ ألا فليتق الله من يطلب الحقيقة ، وليحذر المؤمنون من تعامى عنها وصرف نظره عن فهمها كما جاءت .

ونوع آخر نرفضه من تأويلاتهم الباطلة في أمر الجن ونعني به ما زعموه

---

(١) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي جـ ٣ ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) سورة الصافات : الآية ٦٥ .

في أمر رؤ يتهم وحملهم ما ورد من رؤ يتهم على التخييل والوهم قال السيد رشيد « والظاهر أن بعضهم كان يخيل إليه الخوف في البراري المنقطعة شيئاً يتلوّن فيهيم على وجه خوفاً منه لاعتقاده أنه من الجن ، ويحتمل أن يكون بعضهم رأي بعض القردة الراقية[1] التي تشبه العجوز القبيحة الوجه فسموها السعلاة وأن تكون السعلاة التي أكلت من التمر في حديث أبي أيوب[2] منها أن صح ما روي وكـان عن مشاهدة ، وإلا كان مبنياً على ما توارثه قبل نفي النبي ﷺ له أو قبل العلم بهذا النفي وقد قال الله تعالى في الشيطان ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُم ﴾ وقال ابن عباس أن النبي ﷺ لم ير الجن حين استمعوا القرآن منه بل علم ذلك بالوحي لقوله تعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنه آسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾ ولكن في حديث ابن مسعود وكان معه أنه رأى أسودة تشبه السحاب وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه[3] وروى البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده عن الربيع سمعت الشافعي يقول من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبياً انتهى وقد حملوه كما حملوا الآية على من يدعي رؤ يتهم بصورتهم التي خلقهم الله عليها دون الصور التي يتمثلون بها »[4] .

ثم رجح أن ما اشتهر عن العرب في مسألة الأغوال . . . « أنه تخييل لا حقيقة له في الخارج وقد يكون منه رؤ ية حيوان غريب كبعض القردة »[4] وقال عن الجن « لا نصدق من خبرهم إلا ما أثبته الشرع أو ما هو في قوته من دليل الحس أو العقل ولم يثبت شرعاً ولا عقلاً ولا اختباراً أن شياطين الجن

---

(١) راجع ما ذكرنا عن موقفهم من نظرية التطور .

(٢) ونصه «أنه كانت له سهوة فيها تمر وكانت تجيء الغول فتأخذ منه فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فإذا رأيتها فقل : بسم الله أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل أسيرك ؟ قال حلفت أن لا تعود فقال كذبت وهي معاودة الكذب ٠٠ » الحديث رواه الترمذي .

(٣) لم يصل تفسير المنار إلى هذا الموضع لوفاة صاحبه .

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ .

تأكل الناس ولا أنها تظهر لهم في الفيافي والقفار كما كانت تزعم العرب وغير العرب في طور الجهل والخرافات »[1] .

والخلاصة أن السيد رشيد ينكر إمكان رؤ يتهم ويستدل على ذلك :

١) بالآية الكريمة ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ .

٢) نفى ابن عباس رضي الله عنه لرؤ يته ﷺ لهم « حين استمعوا القرآن منه » .

٣) بقول الشافعي رحمه الله تعالى المنقول آنفاً .

وحمل ما ورد في حديث أبي أيوب ـ إن صح ـ على احتمال أنه رأى بعض القردة الراقية التي تشبه العجوز القبيحة الوجه فسماها سعلاة ـ وإلا فهو مبني على ما توارثه قبل نفي النبي ﷺ له أو قبل العلم بهذا النفي ، ثم قال فيه وفي حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه فيمن كان يسرق تمر الصدقة وإخبار النبي إياه بأنه شيطان قال فيهما« والصواب أنه ليس في هذه الروايات كلها حديث صحيح »[2] .

يقول هذا وهو لا يرى مانعاً من احتمال كون الميكروبات نوعاً من أنواع الجن ، وقد أمكن رؤ يتها واعترف بذلك فكيف ينفي هنا ما أثبته هناك ؟!

وعلى كل حال فالذي نفهمه من الآية ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ إنها لا تنفي إمكان رؤ يتهم ولكنها تثبت رؤ يتهم لنا من حيث لا نراهم وقدرتهم على التشكل بهذه الحالة غير المرئية لنا ونضرب لذلك مثلاً بمن يجلس في ظلام دامس وينظر إلى من يجلس في النور أو من يجلس في سيارة ذات زجاج ملون فإن الجالس في الحالتين يرى من في الخارج من حيث لا يرونه ولا يفهم من هذا عدم إمكان رؤ يته في حالات أخرى .

---

(١) المرجع السابق : جـ ٧ ص ٥٢٨ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٥٢٦ الهامش .

أما نفي ابن عباس رضي الله عنه لرؤ يته ﷺ لهم حين استمعوا القرآن منه ـ إن صح ـ عن ابن عباس فإنه محمول على عدم رؤ يته ﷺ لهم في تلك المرة ولا يمنعُ رؤ يته لهم بعد ذلك ، كما رآهم ابن مسعود رضي الله عنه بعد ذلك وهو يخبر عن مشاهده .

أما قول الشافعي رحمه الله تعالى فيحمل على من يدعي رؤ يتهم بصورتهم التي خلقهم الله عليها دون الصور التي يتمثلون بها أو على من يدعي إمكان رؤ يتهم في كل حال وهو تكذيب للقرآن .

ويبقى بعد هذا كله في ترجيح إمكان رؤ يتهم حديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة رضى الله عنهما الذي رواه البخاري في صحيحه وإن زعم السيد رشيد عدم صحتهما .

والحق أنه كان من الأولى عدم الخوض فيما لم يكن مصدره الوحي الصادق ـ عن أحوالهم ـ وتفويض علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فهو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم .

قول جَامِع في أمر الملَائِكة وَالإِنس وَالجِنّ وَالشيَاطِين

وقع خلاف بين العلماء في أمر المخلوقات المذكورة وصلة بعضها ببعض كخلافهم هل الشياطين من الأنس أو من الجن أو منهما معاً أو خلقاً مستقلاً ؟ والجن هل هم من الملائكة أو أنهم نوع مستقل أيضاً أو هم الشياطين ؟ وكذا إبليس هل هو من الجن أو من الملائكة أو من الشياطين ؟

ليس من شأني هنا أن أتعرض لذكر تلك الأقوال وأدلة كل قول منها والشبهات عليه ولكني أعرض إلى رأي فهمته من مجموع ما قرأته من الأدلة القرآنية في مجموع هذه المخلوقات فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان ، أعرضه هنا بمناسبة الحديث عن هذه المخلوقات ، آحاداً ،

فالله سبحانه وتعالى خلق هذه الخلائق ونوعها إلى نوعين : ـ

١ ـ ما يكون متناسلاً : وهم الجن والإنس .

٢ ـ ما لا يكون متناسلاً : وهم الملائكة .

وخلق الله النوع الثاني جميعاً لأنهم غير متناسلين ، وقضت الحكمة فيما يكون متناسلاً أن تخلق أصوله ، فخلق الله أصل الجن وهو إبليس من مارج من نار ، ثم خلق أصل الإنس وهو آدم عليه السلام من تراب .

خلق الملائكة أولاً ثم إبليس قبل آدم عليه السلام قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمإٍ مَسْنُونٍ ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾[1] فخلق الله الجان « من قبل » خلق الإنسان .

وبخلق الإنسان تمت أنواع المخلوقات الثلاثة فكرمه الله بسجود المخلوقات السابقة له ملائكة وجاناً ، ولم يكن من الجن حينئذٍ إلا إبليس ، فكان الأمر موجهاً للملائكة تغليباً وشمل إبليس لوجوده معهم وهو ليس منهم ولذا استثنى منهم عند معصيته وبيّن جنسه ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[2] ولم يرد في القرآن وصفه بأنه ملك أو أنه من الملائكة بل ورد في الآية السابقة أنه من الجن .

ولم تكن معصية إبليس معصية ملك وإنما كانت معصية جن فإن الملائكة ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3] .

وعصى إبليس ربه ولم يكن كفره لهذا العصيان وإلا لكان آدم عليه السلام كذلك لأنه نهى عن قرب الشجرة فزاد عن قربها وأكل منها ، ولكن كفر إبليس لاعتراضه على أمر الله ونسبته حكم الله سبحانه وتعالى وأمره إلى الجور والظلم بقوله لعنه الله ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[4] فكان

---

(١) سورة الحجر : الآيتين ٢٦ و ٢٧ .
(٢) سورة الكهف من الآية : ٥٠ .
(٣) سورة التحريم من الآية : ٦ .
(٤) سورة الأعراف من الآية : ١٢ .

إبليس لعنه الله عاصياً ومعترضاً على حكم الله سبحانه أما آدم عليه السلام فوقعت منه المعصية وتلتها التوبة الصادقة فكان العقاب في المعصيتين معصية إبليس ومعصية آدم الإنزال إلى الأرض ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[1] فأهبطا لأن السماء ليست مقرا للمعصية ، وكان عقاب الإعتراض من إبليس لعنه الله الحرمان الدائم من دخول الجنة والخلود في النار .

فبقي الملائكة في السماء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ونزل الإنس والجن يمثل الجنس الأول آدم عليه السلام ويمثل الجنس الثاني إبليس لعنه الله ، أنزل الجنسان إلى الأرض حيث تقع الطاعة ، وحيث تقع المعصية .

فكان من ذرية آدم عليه السلام طائعون موحدون وكان منهم عصاة وفاسقون وكان من ذرية إبليس لعنه الله موحدون من الجن وعصاة . .

وكان من الذريتين من بلغت به المعصية إلى درجة كبيرة هي الشطن والإبعاد عن رحمة الله كإبليس لعنه الله فسمى أولئك « شياطين » وهم الذين يوسوسون في صدور الناس ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَـٰهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[2] .

فكان الخلق : ـ ملائكة من نور وجن من نار وإنس من تراب .

ولم تقع المعصية من الصنف الأول ، ووقعت من الصنفين الآخرين فكان منهما شياطين .

والله أعلم والهادي إلى سواء السبيل . ، ،

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٣٦ .
(٢) سورة الناس .